

(١)

### المال الحرام

#### صوره وأثره المدمر على الفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْءِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده  
ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم  
الدِّينِ ، **وبعد :**

فإنَّ المالَ من أعظم نعم الله (عز وجل) التي أنعم بها على عباده ، فهو عصب  
الحياة ، وأحد ركبي زينتها ، قال تعالى: { الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ  
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا } ، وهو قوام الحياة الإنسانية ، فمن خلاله  
يؤدي الإنسان رسالته ، وبه ينال رغبته ، وبه تستقيم شؤنه في الحياة ، وبه يتمكن من  
الوصول إلى غاياته وأهدافه ، وبه يستعان على كثيرٍ من أعمال البر والطاعة ، فالمال  
سلاح صاحبه في المهمات والملمات ، يقول سفيان الثوري (رضي الله عنه): ( المال  
سلاح المؤمن) .

ولا ينكر عاقل ما للمال من أهمية كبيرة في تسيير أمور الحياة ، والنهوض بالأفراد  
والأمم لتحقيق حياة كريمة ، والرقي إلى مدارج التقدم ، والله در الشاعر حيث قال:  
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم \*\*\* لم يبن ملك على جهل وإقلال  
ومن هنا اهتمت الشريعة الإسلامية بأحكامه ، وتنظيم حركته في المجتمع ، بأن  
يؤخذ من حله ، ويوضع في محله ، وكيف لا؟ وبه تتحقق عمارة الأرض ، وتيسير أمور  
الخلق ، وجلب السعادة لهم ، ودفع الضر عنهم ، فالمال في الإسلام وسيلة لعبادة الله

(٢)

تعالى وإقامة شرعه ، ووسيلة للصالح والإصلاح ، والبر والصلة وتحقيق معاني التواد والتراحم والتعاون والتكافل بين أفراد الأمة ، حتى تكون جميعاً كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

فالمال إذا استخدم في الصالح كان نعمة ، كما قال (صلى الله عليه وسلم): (نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ) ، وإذا استُخدم في الفساد والإفساد كان وبالاً وشقاءً على صاحبه ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (تَعَسَّ عَبْدُ الدَّيْنَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ ، تَعَسَّ وَأُنْتَكَسَ ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ).

ولأهمية المال البالغة حثَّ الإسلام على تحصيله واكتسابه من طرق مباحة ومشروعة ، ليس فيها اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير ، فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } ، وَقَالَ سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغَدِيٌّ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ).

كما نهى الإسلام عن أكل الحرام بكل صورته وأشكاله نهياً قاطعاً لا لبس فيه ، وحذر أشد التحذير من الأموال المحرمة لما فيها من شرٍّ ووبالٍ على صاحبها في الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } ، فالمال الحرام في الدنيا يمحق البركة ، وفي الآخرة يكون مآل صاحبه إلى النار

(٣)

وبئس القرار ، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لكعب بن عجرة : ( يَا كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ النَّارِ أَوْلَىٰ بِهِ ، يَا كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ : النَّاسُ غَادِيَانِ ، فَمُبْتَاعُ نَفْسِهِ فَمُعْتَقُهَا ، وَبَائِعُ نَفْسِهِ فَمُؤَيِّقُهَا).

فأكل المال الحرام قتل للنفس وإهلاك وتدمير لها في الدنيا ، {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} ، وحتى لو تصدق به صاحبه فإنه لا يقبل ؛ لأن الله (عز وجل) طيب لا يقبل إلا طيباً.

والمتمائل في حياة بعض الناس اليوم يجد أنهم ربما تساهلوا كثيراً في جمع الأموال ، فراحوا يجمعونها من أي طريق كان بغض النظر عن الحل أو الحرمة ، دون وازع من دين أو خلق ، حتى صدق فيهم قول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ ، أَمِنَ الْحَلَالَ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ).

ولله در سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يوم أن جاء غلامه بطعام ، وكان (رضي الله عنه) لا يأكل من كسبه حتى يسأله عن مصدر هذا الطعام ، (فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَسْأَلْهُ ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ : تَدْرِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : كُنْتُ تَكَهَّتُ لِلنَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أَحْسَنُ الْكِهَانَةَ ، إِلَّا أَتَيْ خَدَعْتُهُ ، فَلَقِينِي ، فَأَعْطَانِي لِذَلِكَ ، هَذَا الَّذِي أَكَلْتَهُ مِنْهُ ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ) ، وفي بعض الروايات أنه قال : (والله لو لم تخرج إلا مع روحي لأخرجتها إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به) .

ولو أيقن الناس حقيقة المال الحرام لعلموا أنه يضر ولا ينفع ، يُفسد ولا يُصلح ، ويهدم ولا يبني ، وإن رأى الغافلون غير ذلك ، والله درُّ القائل :

(٤)

جمع الحرام على الحلال ليكثره

دخل الحرام على الحلال فبعثه

على أن المال الحرام إما أن يكون حراماً في كسبه وتحصيله ، وإما أن يكون حراماً في إنفاقه وصرفه في غير محله ، واستخدامه في الأغراض المحرمة ، وإنفاقه في تمويل العمليات الإرهابية التي تعمل على تخريب وتدمير المجتمع ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : ( لا تَزُولُ قَدَمًا قَدَمًا عَبْدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيهِمْ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيهِمْ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيهِمْ أَبْلَاهُ؟ ) فكل صور المال الحرام لها أثرها المدمر على الفرد والمجتمع.

**ومن صور الكسب الحرام :**

**المال الناتج عن قبول الرشوة** ، فالرشوة إحدى طرق كسب المال المحرم ، وهي جريمة مهلكة من أشد الأسباب فتكاً بالمجتمعات ، ونشراً لأسباب الضعف والانهيار ، فإذا فشت الرشوة في أمة من الأمم وتجراً الناس على تعاطيها ، فاعلم أن الضمائر قد ماتت ، وأن الإيمان قد ضعف في النفوس والقلوب ، وما دخلت الرشوة عملاً إلا أعاقته ، ولا مجتمعاً إلا أفسدته ، ومن أقبح أساليبها الملتوية : تعطيل مصالح الناس والتسويق في إنجازها إلى أن يتم أخذ الرشوة ، وفي ذلك خيانة للأمانة التي يقول الله تعالى فيها : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ، وقد لعن نبينا (صلى الله عليه وسلم) (الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ وَالرَّائِثَ) ، وهو الوسيط الذي يسعى بينهما ، لأن الرشوة قتل لكفاءات المجتمع ، ودعوة صريحة لهدم بنيانه الذي يقوم عليه ازدهاره وتقدمه.

**أكل المال الناتج عن الغش** ، سواء أكان غشاً في الكم أم في النوع ، يقول الحق

(٥)

سبحانه : { وَيَلُّ لِمُطَفِّينَ \* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ \* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزُّوهُمْ يُخْسِرُونَ \* أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ \* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ \* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ، وسواء أكان في الغذاء ، أم في الدواء ، أم في الأدوات أو الآلات الإنتاجية أو الاستهلاكية ، فمن يغش في ذلك وغيره ، كمًا أو نوعًا ، فهو فاسدٌ مفسدٌ ، غاشٌ لنفسه وللمجتمع ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا) ، وفي رواية (من غش فليس منا) بحذف المفعول ، ليشمل كل غش وغاش ، وما ذلك إلا لأن تلك الجريمة من أسباب هلاك الأمم ، ودمار المجتمعات .

ومن صور الكسب الحرام: **الاعتداء على المال العام** .

ولقد كثرت في الآونة الأخيرة صور الاعتداء على المال العام ، وإن تغيرت في الشكل والطريقة والأسلوب إلا أن مضمونها واحد ، ويتمثل ذلك في استئثار أحد الأفراد به وحده دون حق ، أو انتزاع ملكيته من مجموع الناس إليه دون حق ، أو سوء استخدامه أو إتلافه ، أو سرقة ، أو نهبه ، أو اغتصاب الأرض المملوكة للدولة بوضع اليد عليها ظلمًا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَيْءٍ مِنْ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ) .

وكذلك الاعتداء على أي من مرافق الدولة بدون حق ، أو احتيال الإنسان على التهرب من التزاماته المالية تجاه الدولة بأي صورة من الصور ، سواء من كان متهربًا من الضرائب المستحقة عليه أم متهربًا من سداد قيمة استخدام المرافق من ماء ، أو كهرباء ، أو غاز ، أو خلافه ، ذلك أن المال الخاص قد يتعلق بشخص أو بعدة أشخاص ، أما المال العام فيتعلق بملايين الأشخاص الذين يصعب على الإنسان أن يتحلى من أكل حقوقهم يوم القيامة .

(٦)

فعلى الإنسان أن يراقب الله (عز وجل) ، وليعلم أنه إن أفلت من عقاب الناس في الدنيا فلن يفلت من عقاب الله (عز وجل) لافي الدنيا ولا في الآخرة .

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

\* \* \*

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أخوة الإسلام :**

إن الاعتداء على المال العام أشد جرماً من الاعتداء على المال الخاص؛ لأنه ملكٌ للناس جميعاً ، وليس ملكاً لفئةٍ معيّنة من الناس ، والقائمون عليه إنما هم أمناء في حفظه وتحصيله ، وصرفه لأهله ، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يعتديَ عليه ، أو يأخذَ منه ما لا يستحقُّ ؛ لأن ذلك يعد خيانة وظلماً واعتداءً على حق الناس جميعاً ، لذا وجب علينا جميعاً أن نحافظ على المال العام ، وسائر مرافق الدولة من المدارس ، والمعاهد ، والمستشفيات ، والطرق ووسائل النقل ، وغيرها من المرافق العامة باعتبارها ملك لنا جميعاً ، وأمانة في أعناقنا جميعاً ، مؤكدين على أن المساس بها تخريب وإفساد ، ويعد جريمة شرعية وخيانة وطنية.

إن صور أكل أموال الناس بالباطل متعددة ومتنوعة ، منها ما يكون بالظلم والقهر والغصب ، ومنها ما يكون بالنصب والاحتيال والغش والتدليس بيعا وشراء ، ومنها ما يكون بتضييع الحقوق وخيانة الأمانة ، والمماطلة في تسديد الديون ، وغير ذلك من الصورة التي إن تنوعت فإنها محرمة.

(٧)

على أن هناك صوراً مستحدثة لكسب المال الحرام لا تقل حرمة ووبالاً على صاحبها ، وأن أسوأ أنواعها : المال الناتج عن العمالة أو الخيانة ، وبيع الذمم ، وشهادة الزور ، أو كان ناتجاً عن القيام بعمليات التخريب والتدمير والإفساد ، والقتل وسفك دماء الأبرياء ، أو كان ناتجاً عن تسهيل أو تنفيذ العمليات الإرهابية التي تعمل على زعزعة أمن الوطن واستقراره ، وإشاعة الفوضى بين أبنائه ، والعمل على تدمير المجتمع وهدم بنيان حضارته.

فالمال الذي تباع به الأوطان ، وتشتري به الذمم ، مال حرام ، وكسب سحت خبيث يجلب الخزي والعار لصاحبه في الدنيا والآخرة ، وآكل الحرام لا تستجاب له دعوة ، فقد ذكر نبينا (صلى الله عليه وسلم) الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَكْسَبُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ".

فاللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك وكرمك عن سواك.